الرسالة إلى

فليمون

حقًا إنها تحفة صغيرة في فن كتابة الرسائل

أرنست رينان ***Ernest Renan***

نحن جميعنا أنسيمُسُو الرب

مارتن لوثر ***Martin Luther***

١- المكانة الفريدة بين الأسفار القانونية

إن من يظن أننا بغنى عن هذه الرسالة القصيرة التي كتبها بولس، يكون على خطإ تام، لأن ثمة إجماعًا شاملاً على أنها رسالة حقيقية صادرة مباشرة عن قلب الرسول؛ وهذا كفيل بأن يجعل منها جوهرة ثمينة. غالبًا ما تمت مقارنتها برسالة دنيوية تتناول الموضوع عينه — عبد هارب — وجّهها الكاتب الروماني بليني الأصغر *Pliny the Younger* إلى صديق له. بيد أن رسالة بولس تفوقها، إلا في نطاق البلاغة الرائعة.

تُظهر هذه الرسالة الخطّية القصيرة كياسة الرسول بولس، وبراعته — مع شيء من الدعابة — بالإضافة إلى قلبه المحب. لا تعليم مباشرًا عن العقائد فيها، لكنها تشكل إيضاحًا كاملاً لعقيدة "الحسبان"، وذلك بسبب أمر بولس «فاحسب ذلك عليّ». فكما أن سقطات أنسيمس أُدرجت تحت "حساب بولس"، وكذلك استُعين ببولس لسد عجز يرزح تحته أنسيمس، هكذا أيضًا خطايا المسيحي المؤمن "تُحسب" على الرب، فيما تجعل استحقاقات الرب الخلاصية في حساب الإنسان. ولا عجب إذا كتب المصلح العظيم مارتن لوثر ما يلي:

هنا نرى أن القديس بولس يضع نفسه من أجل أنسيمس المسكين، وبكل إمكانية يدافع عنه أمام سيده: فيجعل نفسه كأنه أنسيمس، وكأنما أساء هو شخصيًا إلى فليمون. وكما فعل المسيح لأجلنا مع الله الآب، هكذا أيضًا يفعل القديس بولس من أجل أنسيمس مع فليمون... برأيي نحن جميعنا أنسيمُسوه تعالى.

٢ـ الكاتب

الجميع، ما عدا الأكثر سلبية بين النقاد، يقبلون أن بولس هو كاتب الرسالة إلى فليمون. وفي الواقع، كان رينان *Renan* متيقنًا للغاية صحة هذا، الأمر الذي جعله يسائل نفسه بشأن رفضه السابق لصحة رسالة كولوسي، هذه الرسالة المرتبطة ارتباطًا وثيقًا برسالة فليمون.

وبما أن رسالة فليمون هي موجزة جدًّا وشخصية للغاية، فلا غرابة إن كان الاقتباس منها على نطاق محدود في بداية عهد الكنيسة.

الدليل الخارجي: لقد جرى الاقتباس من رسالة فليمون، أو الإشارة إليها، في كتابات كل من أغناطيوس وترتوليانوس وأوريجانوس. كما أن يوسيبيوس رأى فيها أحد الأسفار المقبولة عند المسيحيين جميعهم (هومولوجومينا *Homologomena*). وماركيون شملها ضمن أسفاره القانونية، كما أن نظام الأسفار القانونية المواتوريانى يقر بها.

الدليل الخارجي: في هذه الرسالة القصيرة، يذكر بولس نفسه بالاسم ثلاث مرات (ع١، ٩، ١٩). كما أن للأعداد ٢، ٢٣، ٢٤ علاقة وثيقة بالمقطع الوارد في كولوسي ٤: ١٠-١٧؛ وهكذا تعمل كلتا الرسالتين على دعم صحة الرسالة الأخرى. من هنا نجد أن الدليل الداخلي يوافق الدليل الخارجي.

٣ـ التاريخ

أرسلت هذه الرسالة في الوقت عينه لإرسال رسالة كولوسي (نحو سنة ٦٠م)، أي بعد نحو ثلاثين سنة على صعود ربنا.

٤ـ الخلفية والموضوع الرئيسي

لمعرفة مناسبة هذه الرسالة، نحتاج إلى جمع مضمونها مع مضمون رسالة بولس إلى كنيسة كولوسي. يبدو أن فليمون كان يسكن في كولوسي (قارن كولوسي ٤: ١٧ بفليمون ٢)، وقد قبل الخلاص على يد الرسول بولس (ع١٩). وأنسيمس، أحد عبيد فليمون، فرّ هاربًا من عنده (ع١٥، ١٦)، وثمة إشارة إلى أنه ربما حمل معه بعضًا من مقتنيات سيده (ع١٨). وصل العبد الفارّ إلى روما حين كان بولس مسجونًا هناك (ع٩). ونحن لا نعلم تمامًا هل كان الرسول في ذلك الوقت يقبع فعلاً وراء قضبان السجن، أم كان قد استأجر بيتًا خاصًا (أع٢٨: ٣٠). ثم حصلت ظروف قضت بأن يلتقي أنسيمس بولس في روما المدينة الصاخبة، فتعرّف بالمسيح بواسطة خدمة الرسول (ع١٠). وفي الأيام التي تلت، نمت بينهما صلة محبة متبادلة (ع١٢)، فبرهن أنسيمس أنه مساعد للرسول، وموضع تقدير عنده (ع١٣). ولكنهما اتفقا في ما بعد على أن الشيء السليم هو أن يعود أنسيمس إلى

فليمون لتسوية إساءات الماضي. من أجل هذا كتب بولس هذه الرسالة إلى فليمون، فيها يتشفع بأنسيمس عارضًا الأسباب التي تمنح سيده الرضى عليه من جديد (ع١٧). وفي الوقت عينه أيضًا، كتب بولس رسالته إلى كولوسي، وكلف تيخيكس مهمة نقل الرسالة، كما أرسل أنسيمس رجوعًا معه إلى كولوسي (كو٤: ٧-٩).

إن هذه الرسالة هي الأكثر خصوصية بين رسائل بولس جميعها. لقد وُجهت رسائل تيموثاوس وتيطس إلى أفراد أيضًا، لكنها تتناول شؤونًا عملية مختصّة بالجماعة أكثر منها أمورًا شخصية.

التقسيم

١- التحية	(ع ١- ٣)
٢- شكر بولس وصلاته من أجل فليمون	(ع ٤- ٧)
٣- طلبُ بولس من أجل أنسيمس	(ع ٨- ٢٠)
٤- الملاحظات الختامية	(ع ٢١-٢٥)

التفسير

١- التحية (ع١-٣)

ع ١ بولس يقدم نفسه بصفته **أسيرًا**، لا رسولاً. كان باستطاعته استخدام سلطانه، لكنه آثر أن يرفع مناشدته وكأنه في مركز ضعف. ولم يكتفِ الرسول بذلك، بل أراد أن يضفي مجد السماء على هذا الموقع الوضيع: إنه **أسير يسوع المسيح**. لم يرضَ، ولو دقيقة واحدة، أن يتذلل كأسير لروما، بل كان ينظر إلى ما وراء الإمبراطور لكي يرى ملك الملوك. كان **تيموثاوس** معه عند الكتابة، وهكذا يربط هذا التلميذ الأمين به، مع أن صاحب هذه الرسالة هو، بكل وضوح، بولس.

فليمون، هو الشخص الرئيسي الذي وُجّهت إليه الرسالة. إن اسمه يفيد معنى "حنون"، ويبدو أنه كان منسجمًا مع اسمه، ذلك لأن بولس وصفه **بالمحبوب والعامل معنا**.

ع ٢ بما أن **أبفيّة** هو اسم أنثوي، يفترض معظم الدارسين أنها كانت زوجة فليمون. وكون هذه الرسالة موجّهة جزئيًا إليها، يذكرنا بأن المسيحية ترفع من شأن النساء؛ كما سنرى في ما بعد أنها ترفع من شأن العبيد. كذلك ينظر الخيال المقدس إلى **أرخبّس** فيرى فيه دائمًا ابنًا

لفليمون ولا نستطيع أن نتيقن تمامًا من جهة ذلك، لكننا نعلم أنه كان مشتركًا فعليًا في الحرب المسيحية، فبولس يشرّفه إذ يعتبره **متجندًا معه**. باستطاعتنا أن نتصوّره كتلميذ مكرّس للرب يسوع، تتأجج في داخله نيران أشواق مقدسة. لقد ميّزه بولس بالتفاته خاصة، وذلك في رسالته إلى كولوسي: «وقولوا لأرخبس: انظر إلى الخدمة التي قبلتها في الرب لكي تتممها» (كو ٤: ١٧).

إن كان فليمون، وأبفية، وأرخبس يظهرون بصورة عائلة مسيحية في العهد الجديد، فإن العبارة **الكنيسة التي في بيتك** تُحضر إلى الذهن صورة كنيسة في العهد الجديد. ويبدو واضحًا من هذا أن بيت فليمون كان مقرّ اجتماعٍ لجماعة المؤمنين. فهناك كانوا يجتمعون للعبادة، والصلاة، ودراسة الكتاب المقدس. ومن ذلك المكان كانوا ينطلقون كي يشهدوا للمسيح في عالم لم يكن يرحّب قطّ برسالتهم، كما أنه لم يكن بوسعه، في الوقت عينه، أن يتجاهلها. عندما كان المسيحيون يجتمعون في بيت فليمون، كانوا جميعهم واحدًا في المسيح يسوع: فالأغنياء مع الفقراء، والذكور مع الإناث، والسادة مع العبيد، لقد كانوا جميعهم أعضاء حقيقيين في عائلة الله. لكن فروقاتهم الاجتماعية سرعان ما كانت تعود إلى الظهور عندما يرجعون إلى مزاولة أعمالهم اليومية. وعند الاجتماع لأجل عشاء الرب، مثلاً، كانوا جميعهم على مستوى مشترك بوصفهم كهنة قديسين. لم يكن فليمون على درجة أعلى من أنسيمس.

ع ٣ يظهر أن تحية بولس المميّزة كانت تشتمل على أفضل ما كان بوسعه أن يتمناه للذين يحبهم. **فالنعمة** تتضمن جميع النعم غير المستحقة التي يغدقها الله على شعبه، **والسلام** يشير إلى الهدوء الروحي والسكينة اللذين يجعلان حياة الذين تعلموا من النعمة مستقرة. إن كلتا البركتين مصدرهما هو **من الله أبينا والرب يسوع المسيح**، وهذه العبارة زاخرة بالمعاني: إنها تتضمن أن الرب يسوع هو مساوٍ لله الآب في عملية منح النعمة والسلام. إنه لتجديف أن نعطي المسيح مثل هذا الشرف إذا لم يكن هو الله حقًا تمامًا.

٢. شكر بولس وصلاته من أجل فليمون (ع٤-٧)

ع ٤ كلّما كان بولس يصلي لأجل فليمون، كان يشكر الله من أجل هذا الأخ الشريف. لدينا كل الأسباب للاعتقاد أنه إحدى الغنائم المميّزة لنعمة الله، ومن صنف الرجال الذين تحب أن يكونوا من أصدقائك ومن إخوتك. يقترح بعض المفسرين أن بولس يستخدم الدبلوماسية في هذه الأعداد التمهيدية، وأنه يبتغي من وراء ذلك "تليين" قلب فليمون حتى يقبل أنسيمس من جديد. لكن هذا ينسب إلى الرسول دافعًا لا يليق به، كما أنه يطوي على تشكيك في صحة النص الموحى به. لم يكن بولس ليذكر تلك الصفات لو لم يكن يعنيها بكل إخلاص.

ع ٥ ثمة صفتان في خُلق فليمون ولّدتا في بولس فرحًا عارمًا: **محبته والإيمان الذي كان له نحو الرب يسوع ولجميع القديسين**. لقد أظهر بإيمانه بالمسيح أن فيه أصل الحياة الإلهية، كما أنه بيّن من خلال محبته لجميع القديسين أن عنده، بالإضافة إلى ذلك، أثمارًا روحية أيضًا. إذًا، كان إيمانه منتجًا.

في أفسس ١: ١٥، ١٦ وكولوسي ١: ٣، ٤ عبّر بولس أيضًا عن تشكراته من أجل القديسين الذين وجّه

إليهم هاتين الرسالتين لكنه في هذين الموضعين، جعل الإيمان قبل المحبة. أما هنا، فقدّم المحبة على الإيمان. ولماذا هذا الفرق؟ يجيب عن هذا ماركلارين *Maclaren* بالقول: "الترتيب هنا، يتبع التسلسل الكامن وراءها. أما الترتيب في النصوص الموازية، فيتبع التسلسل الإنتاجي الصاعد من الجذور إلى الزهرة".

ثمة ميزة أخرى لترتيب كلمات بولس في هذه الآية، ويجدر ذكرها، إنه يقطع العبارة «**محبتك لجميع القديسين**». بإضافة الكلمات «**والإيمان... نحو الرب يسوع**» بعد «**محبتك**». بإمكاننا أن نجعلها على النحو التالي: **محبتك (والإيمان... نحو الرب يسوع) لجميع القديسين**. إن موضوع الإيمان هو الرب يسوع. لكن بولس يغلّف الجملة عن الإيمان بالجملة عن المحبة، وكأنه يقصد من ذلك أن يسبق فينبّه فليمون إلى الفرصة المميزة المتاحة له لإعلان حقيقة إيمانه بالتصرف بمحبة مع العبد أنسيمس. من هنا جاء التشديد بشكل خاص على الكلمة جميع: **لجميع القديسين**.

ع ٦ في العددين السابقين، عبّر بولس عن شكره لأجل فليمون. أما هذا العدد، فيبين طبيعة صلاة الرسول من أجله. إن العبارة **شركة إيمانك** يقصد بها ما أظهره فليمون من لطف عملي نحو الآخرين. باستطاعتنا مشاركة إيماننا، لا من خلال الوعظ بالمسيح فحسب، بل أيضًا من طريق إشباع الجائع، وكساء المسكين، وتعزية المحزون، وإغاثة المنكوب؛ حتى من خلال مسامحة عبد فارّ.

إذًا، لقد صلى بولس حتى تعمل حياة فليمون، المملوءة كل صلاح، على حمل العديد من الناس على الإقرار بأن **المسيح يسوع** هو مصدر أعماله الصالحة جميعها. ثمة قوة هائلة وتأثير مبارك عظيم في حياة تتجلى فيها محبة الله. إن القراءة عن المحبة أمر حسن، لكن رؤية الكلمة الذي صار جسدًا، متجسّدًا أيضًا في حياة بشرية، هو أمر عظيم جدًّا، وتأثيره فعّال للغاية.

ع ٧ إن الأخبار عن سخاء فليمون الفائض، ومحبته المضحية بالنفس، انتقلت من كولوسي إلى روما، مولّدة **فرحًا** كثيرًا وتعزية لدى أسير المسيح. كان لبولس الامتياز العظيم باقتياد فليمون إلى الرب، لكن الآن يسرّه أن يسمع عن ابنه في الإيمان أنه يعيش للرب كما يجب. وكم اطمأن لمعرفة أن **أحشاء القديسين قد استراحت** (انتعشت) **بهذا الأخ**، ولاسيما بمحبته. ليس أحد يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته؛ فتصرفاتنا تؤثر في الآخرين، ولا نقدر على أن نقيس مدى تأثيرنا، لأن إمكانياتنا للخير أو للشر غير محدودة.

٣- طلبُ بولس من أجل أنسيمس (ع٨-٢٠)

ع ٨ في هذا العدد يأتي بولس إلى القصد الرئيسي من الرسالة. لقد أوشك على التشفع بأنسيمس، لكن كيف سيتطرق إلى هذا الموضوع؟ كان له الحق، بصفته رسولاً، أن يخاطب فليمون بالقول: "والآن، يا أخي، يتوجب عليك، أنت المؤمن، أن تغفر لهذا الفارّ وتردّه إليك، وهذا تمامًا ما أدعوك إلى القيام به". كان باستطاعة بولس أن يأمره بفعل ذلك، ولا مجال لفليمون إلا أن يطيع، لكن بولس يكون في هذه الحال قد أحرز انتصارًا فارغًا.

ع ٩ لو لم يكسب الرسول قلب فليمون، لاستقبل أنسيمس، عند عودته، استقبالاً قاسيًا خاليًا من الحنو والمحبة. لكن الطاعة بدافع المحبة كانت وحدها الكفيلة

بجعل العبد مقبولاً داخل البيت. ربما كان بولس عند تدوينه هذا يفكر في كلمات المخلص: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي» (يو ١٤: ١٥). وهكذا آثر من أجل المحبة أن يطلب، بدل أن يصدر الأوامر. هل تصل محبة فليمون عبر البحر إلى حيث كان الشيخ، سفير المسيح، مسجونًا من أجل الرب يسوع؟ هل سيحركه الاعتباران التاليان: بولس الشيخ، والآن أسير؟ لا نعرف تمامًا كم بلغ الرسول من العمر في ذلك الوقت. وتتراوح التقديرات بين الثالثة والخمسين والثالثة والستين. في أيامنا، ربما لا يبدو هذا تقدُّمًا في السن، لكنه كان على الأرجح قد شاخ قبل أوانه بسبب الطريقة التي بها أنفق ذاته في خدمة المسيح. والآن هو أسير ليسوع المسيح. لم يذكر هذا سعيًا إلى كسب العطف، لكنه كان يأمل أن يأخذ فليمون هذين الأمرين بعين الاعتبار عند اتخاذه قراره.

ع ١٠ في النص الأصلي لهذا العدد، ورد اسم أنسيمس في نهاية الجملة. «أطلب إليك لأجل ابني، الذي ولدته في قيودي – أنسيمس». حين طرق اسم هذا العبد المنبوذ مسمع فليمون، كان هذا الأخير قد فرغ بالكلية من نقمته. حاول أن تتخيل مقدار دهشته عندما عرف أن هذا الوغد قد اهتدى، وأكثر من ذلك، قد اقتيد إلى المسيح بواسطة بولس، الأسير!

إن إحدى المسرات المخفية في الحياة المسيحية هي رؤية الله يعمل بطرق عجيبة ومدهشة، مظهرًا ذاته في ظروف متقاربة لا يمكن تفسيرها على سبيل التزامن أو الصدفة. ففي باديء الأمر، قاد بولس فليمون إلى الرب. ثم بعد ذلك تم القبض على الرسول وإرساله إلى روما للمحاكمة. بعدئذ، فرَّ عبد فليمون وتوجَّه إلى روما؛ ثم تقابل، بشكل أو بآخر، مع بولس، واهتدى. إن كلاً من السيد والعبد ولدا ثانية بواسطة الخادم نفسه، لكن في مكانين بعيدين تمامًا أحدهما عن الآخر، وفي ظروف مختلفة للغاية. هل حصل هذا من قبيل الصدفة؟

ع ١١ الاسم أنسيمس يعني نافعًا. لكن فليمون، وعلى أثر فراره تجرَّب بأن يدعوه وغدًا وغير نافع. وبولس في هذا العدد يقول ما معناه: حقًا، لقد كان غير نافع بالنسبة إليك، لكنه الآن أصبح نافعًا لك ولي. فالعبد العائد إلى فليمون كان عبدًا أفضل من ذاك الذي كان قد فرّ هاربًا. قيل إن ثمن العبيد المسيحيين كان في أزمنة العهد الجديد يفوق ثمن سواهم من العبيد. وفي أيامنا، يجب أن يصح القول إن للموظفين المؤمنين قيمة أعظم من تلك التي لزملائهم غير المؤمنين.

ع ١٢ يبرز موقف العهد الجديد من العبودية بوضوح في هذه الرسالة. نلاحظ أن بولس لا يدين تجارة الرق أو يمنعها. إنه في الواقع يعيد أنسيمس إلى سيده. ولكن في كل صفحة من العهد الجديد، نشهد شجبًا للممارسات السيئة المرتبطة بالعبودية. يكتب ماكلارين *Maclareen*:

> العهد الجديد لا يتدخل، بشكل مباشر، بأية ترتيبات سياسية أو اجتماعية، لكنه يرسم مبادىء تؤثر في العمق في هذه المسائل، ثم يدعها تتسرب إلى الرأي العام.

ليست الثورة المعتمدة على القوة هي الأسلوب الكتابي لإصلاح الشرور الاجتماعية، هذا لأن سبب لا إنسانية الإنسان يكمن في طبيعته الساقطة. فالإنجيل يعني بمعالجة العلّة الأساسية، عارضًا خليقة جديدة في المسيح يسوع.

قد نفهم أن العبد التابع لسيد لطيف، يكون في حالة أفضل مما لو نعم بالاستقلال. وهذا يصح مثلاً على المؤمنين، عبيد الرب يسوع. لأن عبيد الرب يتمتعون بأصدق أشكال الحرية. إن بولس، بردّه أنسيمس إلى فليمون، لم يظلم هذا العبد. كان السيد والعبد كلاهما مؤمنين، وكان فليمون ملزَمًا التعامل معه بكل لطف مسيحي. كما كان يتوقع من أنسيمس بدوره أن يخدم بكل أمانة مسيحية. أن المحبة العميقة للرسول من نحو أنسيمس، عبر عنها بالكلمات: «**الذي هو أحشائي**». كان بولس يشعر وكأنه يخسر جزءًا من ذاته.

علينا أن نلاحظ كيف يرسم الرسول أمامنا في هذه الآية مبدأ رد المسلوب أو التعويض. فالآن، وبعد أن اختبر أنسيمس الخلاص، هل من الضروري أن يرجع إلى سيده القديم؟ والجواب هو نعم بشكل جازم. هذا لأن الخلاص يرفع عنا عقاب الخطية وسلطتها، لكنه لا يلغي الديون. إنه يتوقع من المسيحي الحديث في الإيمان أن يصفي جميع الحسابات غير المدفوعة، ويصلح كل خطإ على قدر المستطاع. كان أنسيمس ملزَمًا بالرجوع إلى خدمة سيده، وبرد أي مال ربما اختلسه سابقًا.

ع ١٣ كان الرسول يفضل شخصيًا أن **يمسك** أنسيمس ويحتفظ به عنده في روما، هذا لأنه كان باستطاعة العبد التائب أن يعمل الكثير لأجل بولس خلال حبسه في سبيل الإنجيل. وبذلك تُتاح أمام فليمون فرصة **لخدمة** الرسول، أي بتوفير نفسه مساعدًا له. لكن المشكلة هي في أن يتم ذلك من دون معرفة فليمون أو إذنه.

ع ١٤ لم يكن بولس ليتظاهر باللطف على صاحب العبد، بغية إبقاء أنسيمس معه في روما. لقد عزم على عدم فعل أي شيء يتعلق بأنسيمس من دون أخذ رأي فليمون في الأمر، هذا لأن اللطف يُجرَّد من جماله إن عُمل على سبيل الاضطرار، لا على أساس رغبة حرة ومحبة.

ع ١٥ إنها لَعلامة على النضج الروحي أن يتمكن المرء من النظر إلى ما وراء الظروف المعاكسة الآنية، لرؤية الله الذي يعمل كل شيء للخير للذين يحبونه (رو٨: ٢٨). فعندما فرّ أنسيمس هاربًا، قد يكون فليمون امتلأ مرارة، مع شعوره بالخسارة المادية. هل سيتسنى له أن يرى العبد من جديد؟ بولس الآن، يرسم قوس فرح عبر الغيوم المظلمة. لقد خسرت العائلة في كولوسي أنسيمس لبعض الوقت، **لكي يكون لهم إلى الأبد**. ينبغي أن يشكل هذا عزاء للمسيحيين الذين يفقدون أقرباء مؤمنين وأصدقاء من خلال الموت. فالفراق هو لفترة وجيزة، أما الاتحاد العتيد، فسيكون أبديًا.

ع ١٦ لم يكن فليمون يستعيد أنسيمس وحسب، لكنه كان يستقبله في ظروف أفضل في تلك التي سبق له أن عرفه فيها. فلا مكان في ما بعد للعلاقة المألوفة بين السيد والعبد. أنسيمس الآن **أفضل من عبد**، لقد أصبح **أخًا محبوبًا** في الرب. ومن الآن فصاعدًا جاء دافع المحبة ليحل مكان دافع الخوف. لقد سبق لبولس أن استمتع بالشركة معه كأخ محبوب لكن الآن لن يحتفظ به معه في روما. إن خسارة الرسول هي في الواقع ربح لفليمون. سيتسنى له أن يعرف أنسيمس **أخًا في الجسد والرب جميعًا**. فالعبد السابق سيبرِّر ثقة بولس به على نطاق الجسد، أي بأمانته في الخدمة المادية، وفي الرب أي بالشركة معه كمؤمن.

ع ١٧ إن طلب الرسول في هذه الآية مذهل في جرأته وفي حنانه معًا. إنه يسأل فليمون أن **يقبل** أنسيمس **نظيره**، أي كما يقبل الرسول نفسه. يصرح بالقول: «**فإن كنت تحسبني شريكًا، فاقبله نظيري**». وهذه الكلمات تذكّرنا بقول الرب: «من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني» (مت ١٠: ٤٠)، «وبما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت ٢٥: ٤٠). كما تذكرنا أيضًا بأن الله قَبلنا في شخص ابنه، وقد أصبحنا قريبين منه وأحباء عنده تمامًا كعلاقة المسيح به.

إن كان فليمون يحسب بولس شريكًا، كمن هو في شركة معه، فعندئذ يسأله الرسول أن يقبل أنسيمس على هذا الأساس عينه. لكن هذا لا يفرض ضرورة معاملة أنسيمس كضيف دائم على العائلة من دون أي التزام للعمل. فإنه سيستمر عبدًا في البيت، لكنه ينتمي إلى المسيح، وهو بالتالي أخ بالإيمان.

ع ١٨ لا يقول الرسول أن أنسيمس سرق أي شيء من عند فليمون، لكن هذا العدد يجعل هذا الأمر محتملاً. السرقة، كانت ولا شك، إحدى الخطايا الرئيسية التي يقترفها العبيد. وبولس مستعد لأن يتحمل مسئولية أية خسارة قد تكون لحقت بفليمون. إنه يعترف بأهمية رد المسلوب أو التعويض عما فات. إن اهتداء أنسيمس لا يلغي ديونه للناس. من أجل هذا، يدعو بولس فليمون إلى أن **يحسب ذلك عليه**.

لا نستطيع قراءة هذا من دون أن نتذكر الدين الهائل الذي تراكم علينا كخطاة، وكيف تم إدراج الكل تحت حساب الرب يسوع على الصليب. لقد دفع الدين بالتمام عندما مات بوصفه بديلنا. كما نتذكر أيضًا هنا خدمة المسيح شفيعًا لنا. فعندما يرفع الشيطان المشتكي على الإخوة الاتهامات ضدنا على إساءات اقترفناها، يجيبه الرب المبارك بما معناه: احسب ذلك عليّ. فهذه الرسالة توضح لنا عقيدة المصالحة. لقد ابتعد أنسيمس عن فليمون، وتغرب عنه بسوء التصرف، لكن، من خلال خدمة بولس، زالت المسافة "والعداوة". لقد صولح العبد مع سيده. هكذا كنا نحن أيضًا بعيدين عن الله من جراء خطيتنا. لكن بموت المسيح وقيامته، تم نزع سبب العداوة حتى بات المؤمنون مصالَحين مع الله.

ع ١٩ كان بولس، عادة، يملي رسالته على شخص آخر، مكتفيًا بكتابة الأسطر الأخيرة **بيده**. لا نعلم يقينًا هل كان قد كتب كل الرسالة بيده، لكنه، عند هذا الحد على الأقل، تناول القلم وخط على عجلة تعهده بدفع أية ديون واجبة على أنسيمس. وكان مزمعًا أن يفعل ذلك على الرغم من أن فليمون كان مديونًا لبولس بالشيء الكثير. فبولس كان قد قاده إلى الرب، وهو، أي فليمون، مدين للرسول بحياته الروحية من جهة الأداة البشرية التي أدت به إلى الخلاص. لكن بولس لا يضغط عليه لدفع هذا الدين.

ع ٢٠ بولس الشيخ يدعو هنا فليمون **أخًا**، طالبًا أن يكون له فرحٌ به في الرب وسائلاً منه معروفًا في المسيح. إنه يلتمس أن يكون قبول أنسيمس بلطف، وأن يُسامح وتُعاد إليه خدمته البيتية، لا كعبد الآن، بل أخًا في عائلة الله.

٤. الملاحظات الختامية (ع٢١-٢٥)

ع ٢١ كان الرسول **واثقًا** بأن فليمون سيفعل **أكثر مما** طلب إليه. لقد سبق له أن اختبر هو شخصيًا الغفران المجّاني في المسيح. وبالطبع لن يفعل أقلّ من ذلك بالنسبة إلى أنسيمس. يشكّل هذا العدد إيضاحًا كافيًا للآية في أفسس ٤: ٣٢ «وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضًا في المسيح».

ع ٢٢ لكن، كيف سيطّلع بولس على الطريقة التي بها تعامل فليمون مع أنسيمس؟ كان يأمل بزيارة كولوسي وينزل ضيفًا على بيت فليمون. وكان يتوقع أن تقوم السلطات المدنية بإطلاق سراحه نتيجة لاستجابة **صلوات** المسيحيين. من أجل هذا، طلب إلى فليمون أن يعد له **منزلاً**. وربما يكون ذلك من أولى المهمات التي ستوكل إلى أنسيمس: "أعد غرفة الضيوف لأخينا بولس". لا نعلم هي تسنى لبولس زيارة كولوسي قبل وفاته، لكن كل ما بوسعنا معرفته هو افتراض أنه تم تجهيز غرفة له، وأن أفراد العائلة جميعهم كانوا توّاقين إلى رؤيته، بعد أن اقترنت قلوبهم معًا برباط المحبة.

ع ٢٣ **أبفراس**، قد يكون هو الذي غرس الجماعة في كولوسي (كو ١: ٧،٨؛ ٤: ١٢،١٣). وها هو الآن **مأسور** مع بولس في روما، وينضم إلى بولس في بعث التحيات إلى فليمون.

ع ٢٤ كان مع بولس في ذلك الوقت **مرقس وارستخس وديماس ولوقا**. وهذه الأسماء مذكورة أيضًا في كولوسي ٤: ١٠، ١٤ بالإضافة إلى يسوع الذي يدعى يسطس، والذي اسمه محذوف هنا لسبب ما. **ومرقس** هو كاتب الإنجيل الثاني، وقد برهن أنه خادم أمين للرب بعد فشله الأول (٢تي ٤: ١١، قارن أعمال ١٣: ١٣، ١٥: ٣٦-٣٩). **وأرستخس**، مؤمن من تسالونيكي، رافق بولس في العديد من سفراته بما في ذلك الرحلة إلى روما، ويدعوه بولس في كولوسي ٤: ١٠ المأسور معي. **وديماس** ترك بولس في ما بعد، إذ أحب العالم الحاضر (٢تي٤: ١٠). أما **لوقا**، الطبيب المحبوب، فقد برهن أنه رفيق أمين ومساعد إلى المنتهى (٢تي٤: ١١).

ع ٢٥ تختتم الرسالة ببركة بولس المميزة. إنه يتمنى أن تكون **نعمة الرب يسوع مع روح** فليمون. فلا بركة في الحياة أعظم من إحسان المسيح الذي ناله من دون أي استحقاق فينا، والذي نختبره لحظة بلحظة، فالسير بإدراك دائم لشخصه الكريم وعمله العظيم، مع التمتع بهما، كل ما يصبو إليه القلب.

طرح بولس قلمه جانبًا، ثم سلّم تيخيكس الرسالة لينقلها إلى فليمون. لم يكن يدرك، إلا قليلاً، مدى التأثير الذي سيكون لرسالته في التصرف المسيحي على مدى العصور التالية. فهذه الرسالة تحفة كلامية عن المحبة واللطف، وهي تنطبق علينا اليوم كما كانت الحال عند كتابتها. **آمين**.